إيران والميليشيات العراقية والتوترات الإقليمية

جاسم الشمري*

ملخص: تحاول هذه الدراسة الوقوف على علاقة بعض فصائل الحشد الشعبي بإيران، إذ لا يُذكَر العراق اليوم إلا وتُذكَر إيران معه؛ بوصفها دولة فاعلة بقوة في الميادين العراقية المتنوعة، ولاسيّما في الميادين العسكرية والسياسية. وإيران، كما هو معلوم، دولة إقليمية قوية تبحث عن مصالحها الإقليمية والدولية. ستركز الدراسة على بعض الفصائل (الميليشيات) العراقية المسلحة التي تمتلك قدرات عسكرية وسياسية كبيرة في الداخل العراقي، وهي مرتبطة صراحة بإيران.

الكلمات المفتاحية: إيران، العراق، الميليشيات، الإقليم.

*باحث، العراق.

Iran, Iraqi Militias, and Regional Tensions

JASEM AL-SHAMARY*

ORCID NO :0009-0000-6182-6031

ABSTRACT: *The current study attempts to determine the relationship of some factions of the Popular Mobilization Forces "Al-Hashd Al-Sha'bi" with Iran, as Iraq is not mentioned today unless Iran is mentioned as an effective state, and strongly, in various Iraqi fields, especially the military and political fields. Iran, as is known, is a strong regional state that seeks its regional and international interests, and the study will focus on some Iraqi armed factions, militias, that possess great military and political capabilities inside Iraq, and are explicitly linked to Iran.*

Keywords: *Keywords: Iran, Iraq, Militias, The Region.*

*Researcher, Iraq.

رؤيـــة تركيـــة
2024-(2/13)
111 - 128

DOI:10.36360/1560-013-002-008

مدخل

تحاول هذه الدراسة الوقوف على علاقة بعض فصائل الحشد الشعبي بإيران، من خلال منطلقات تاريخية، ومنطلقات منطقية تؤكّد أن بناء الدول لا يمكن أن يكون إلا بحكومة عادلة قوية، وهذه الحكومة العادلة القوية يمكنها أن ترتب مهام المؤسسات التابعة، كل مؤسسة بحسب اختصاصها، وبناء على هذا نجد أنّ التداخل في العمل العسكري والسياسي في الحالة العراقية أدى إلى هشاشة واضحة في إدارة الدولة، ويمكن، عبر حكومة قوية جادة، أن ننجح في بناء دولة خالية من القتلة والمجرمين.

لا يُذكَر العراق اليوم إلا وتُذكَر إيران معه بوصفها دولة فاعلة بقوة في الميادين العراقية المتنوعة، ولاسيّما في الميادين العسكرية والسياسية. وإيران، كما هو معلوم، دولة إقليمية قوية تبحث عن مصالحها الإقليمية والدولية؛ وبدون الدخول في دهاليز الماضي القريب، تجدر الإشارة على عجالة إلى إعلان بعض المسؤولين الإيرانيين بأنه لولا إيران لما استطاعت[1] واشنطن احتلال كابل وبغداد، وأن إيران تسيطر على أربع مدن عربية، وهي بيروت وبغداد ودمشق وصنعاء، وغير ذلك من الأدلة الصريحة التي تؤكد أن إيران تمتلك مخططات دقيقة لتنفيذ سياسات مدروسة في الإقليم؛ لتحقيق مصالحها: مرّة بالتهديدات بضرب «إسرائيل» والمصالح الأمريكية عبر الأراضي العراقية، ومرّة بالدبلوماسية الناعمة التي تحاول من خلالها تحقيق مصالحها على حساب الدول التي تمتلك فيها بعض الأذرع المسلحة في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وهي في كل الأحوال والأوقات تحافظ على مصالحها الداخلية والخارجية فقط، ولا يهمّها أي مصلحة لأي بلد آخر. ستركز دراستنا على بعض الفصائل (الميليشيات) العراقية المسلحة التي تمتلك قدرات عسكرية وسياسية كبيرة في الداخل العراقي، ومرتبطة صراحة بإيران.

الميليشيات في العراق

يُعَدّ الحديث عن الميلشيات في العراق من الملفات الواضحة والغامضة في الوقت ذاته؛ لأن القانون الدولي والقانون العراقي عرّفا الميليشيات بأنها كل قوة تحمل السلاح خارج إطار القوات المسلحة الرسمية في أي دولة؛[2] ومن هنا فإن هذا الأمر واضح لا خلاف عليه، ولا يحتاج إلى جدل كبير بين المؤيدين والمعارضين.

كانت الحالة العراقية عام 2003 بدخول أمريكا بغداد وانقلاب الحياة- أمام واقع جديد تمثّلَ في الاحتلال، وبداية مرحلة جديدة وغامضة، يَنظر إليها بعض المتابعين على أنها «تغيير»، بينما يرى آخرون أنها بداية احتلال وتخريب وتدمير للعراق.

ومن المؤكد أنه كانت هنالك بعض الأطراف «العراقية» الحاملة للسلاح قبل عام 2003 كانت تعارض حكومة الرئيس صدام حسين، وكانت غالبية هذه الكيانات تمتاز بعلاقات متقدمة مع إيران، وبالذات منظمة بدر، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الدعوة الإسلامية في العراق، وغيرها من الأحزاب والميليشيات. وقد شاركت بعض هذه الفصائل علانية وبتصريحات موثقة من بعض مسؤوليها، في القتال ضد الجيش العراقي في الحرب العراقية الإيرانية، وهم يتباهون بهذه الفعاليات رغم أن من المُفتَرض أن تكون معيبة وغير صحية.

وبعد معركة «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، لاحظنا أن إيران حاولت استغلال هذه الحالة البطولية الفلسطينية، وادّعت وقوفها مع المقاومة الفلسطينية، إلا أن مجريات الأحداث أثبتت أنها لم تقم بأي عمل عسكري مفصلي يتعلق بنصرة أهالي غزة، وكل ما في الأمر أنه كانت هنالك مناوشات إعلامية ما بين إيران والولايات المتحدة والكيان الصهيوني، ومع ذلك حاولت إيران عبر أذرعها الموجودة في العراق ولبنان واليمن، تحديدًا، أن تذرّ الرماد في العيون من خلال عمليات لم تثمر عن أي أضرار حقيقية في منشآت الكيان الصهيوني وأفراده، ولم تؤثر في مسار المعركة، منها الهجوم الذي شنته منتصف نيسان/ أبريل 2024 من خلال مئات الصواريخ والطائرات المسيّرة.

يبدو أن سياسات إيران القديمة– الجديدة قائمة على استغلال الأزمات، والدخول في حروب غير مباشرة؛ لتحقيق مصالح خاصّة على حساب سيادة ومصالح الدول الأخرى التي تنتشر فيها أذرعها المسلحة.

باختصار يمكن بداية تقسيم مراحل تقارب بعض الفصائل العراقية المسلحة مع إيران إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003 أو (مرحلة الحرب العراقية– الإيرانية)، ومرحلة ما بعد الاحتلال.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الاحتلال الأمريكي للعراق

في مرحلة الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي أسهمت بعض فصائل المعارضة للحكومة العراقية حينها في توجيه ضربات عسكرية مباشرة للعراق على جبهات القتال، أو في توجيه ضربات أمنية في العمق العراقي، ومن أبرز تلك الفصائل، التي ظهرت فيما بعد عام 2003 أيضًا:

1. المجلس الأعلى الإسلامي العراقي

أُسِّس المجلس بتاريخ 17/11/1982 تحت اسم (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية)، بقيادة بعض رجال الدين الشيعة بزعامة محمد باقر الحكيم.

وتبنى المجلس منذ تأسيسه، وفقًا لموقعه الرسمي، «إستراتيجية مواجهة الظلم والطغيان والاستبداد،[3] وفي الأول من شهر رجب من عام 1424هـ، الموافق 29/8/2003، قُتِل رئيس المجلس الأعلى محمد باقر الحكيم في عملية تفجير مروعة بعد أداء صلاة الجمعة في مدينة النجف عند مرقد الإمام علي بن أبي طالب».

وقد مارس المجلس «دورًا محوريًّا في العملية السياسية في العراق بعد سقوط نظام صدام في كل مراحلها؛ بدءًا من تشكيل مجلس الحكم الانتقالي، مرورًا بكتابة الدستور الدائم وإقراره وإجراء الانتخابات البرلمانية والمحلية».[4]

2. المجلس الأعلى ومنظمة بدر

نرى أن (المجلس الأعلى الإسلامي في العراق) أسهم بشكل غير إيجابي في عراق ما بعد الاحتلال. وللمجلس ميليشيا تابعة له، هي (فيلق بدر)[5]. قام (فيلق الحرس الثوري الإسلامي) بتدريب هذه الميليشيا، والسيطرة عليها، وقاتلت إلى جانب القوات الإيرانية خلال الحرب بين إيران والعراق.

وبعد عام 2003، دخل الآلاف من رجال (ميليشيا بدر) من إيران إلى جنوبي العراق؛ للسيطرة على ذلك الجزء من البلاد. وفي عام 2012، انشقت (منظمة بدر) عن (المجلس الأعلى الإسلامي في العراق)، وعملت منذ ذلك الحين بوصفها طرفًا مستقلًّا.[6] وفي عام 2009، انتُخِب عمار الحكيم رئيسًا للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي بالإجماع، بعد رحيل عبد العزيز الحكيم.

ثم وقعت خلافات كبيرة داخل المجلس دفعت الحكيم للخروج من المجلس وتشكيل التحالف الوطني العراقي.

وقد ركّز برنامج هذا الحزب الجديد على بناء دولة مدنية، وتعزيز المواقف القومية العراقية، وفصل نفسه عن «الحرس القديم» التابع لـ«المجلس الأعلى الإسلامي العراقي» الموالي لإيران والحليف لـ«منظمة بدر» الذي اتُّهِم مرارًا بالفساد. وقد فاز الفصيل التابع للحكيم بتسعة عشر مقعدًا، وتحالف منذ ذلك الحين مع معسكر الصدر.[7]

وبعد خروج الحكيم أُنيطت زعامة المجلس الأعلى للشيخ همام حمودي، وقد تراجع دور المجلس كثيرًا بعد انشقاق (عمار الحكيم عنه وتشكيله لكتلته)، وقد أضعف هذا الانشقاق كلا الطرفين لكن أثره بدا أكثر في المجلس الأعلى.

> تشكل «فيلق بدر» بناءً على فتوى «زعيم الثورة الإيرانية، الخميني»، وعُهِد لمحمد باقر الحكيم زعامة التنظيم الذي تألف من الجنود العراقيين الهاربين من الحرب العراقية الإيرانية

3. منظمة بدر[8]

أُسِّست منظمة بدر باسم «لواء9 بدر» الذي تحوّل فيما بعد إلى «فيلق بدر» في عام 1982 في إيران بمبادرة من قيادات الحرس الثوري الإيراني، وبمعاونة بعض العراقيين المهجّرين أو المهاجرين إلى إيران.[9]

وتَشكّل «فيلق بدر» بناءً على فتوى «زعيم الثورة الإيرانية، الخميني»، وعُهِد لمحمد باقر الحكيم زعامة التنظيم الذي تألف من الجنود العراقيين الهاربين من الحرب العراقية الإيرانية، وأسرى الحرب ممن «أعلنوا التوبة» من نظام صدام السابق، والمُسَفَّرين الإيرانيين المطرودين من العراق.

وحولت القيادة الإيرانية في عام 1982، فوج الصدر (الجناح الإيراني) إلى «لواء9 بدر»، بتعداد يتراوح ما بين (187) و(250) عنصرًا.

أسهم «فيلق بدر» بشكل واضح في أحداث عام 1991 أو ما يُعرَف بالانتفاضة الشعبانية في مدن جنوب العراق، بعد الانسحاب العراقي من الكويت، أو ما يُعرَف بحرب الخليج الثانية، حيث حشد المئات من المؤيدين له في محاولة للانقلاب على الحكم ببغداد الذي نجح في إجهاض الاحتجاجات المسلحة، وأجبر «بدر» على سحب عناصره إلى إيران، وهجرة المؤيدين الذين شكّلوا فئة المهاجرين في الفيلق. ولاحقًا شارك «فيلق بدر» في عملية احتلال العراق في عام 2003.

وقُدِّر عدد عناصره عام 2016 بنحو مئة ألف عنصر مسلح تسليحًا كاملاً، بزعامة هادي العامري.[10]

4. حركة عصائب أهل الحق:

هي منظمة ميليشياوية مشاركة في العملية السياسية، زعيمها قيس الخزعلي.[11]

أُسِّست الحركة من أحد فروع «جيش المهدي» التابع لمقتدى الصدر بين عامَي

2006 و2007، تحاول الحركة التأكيد بأنها كانت في طليعة الجماعات المنفّذة للهجمات ضد «قوات التحالف في العراق» خلال تلك الفترة. شملت تلك الضربات الغارة التي شُنَّت على مقر محافظة كربلاء في كانون الثاني/ يناير 2007، حيث قُتِل خمسة جنود أمريكيين، وعملية اقتحام وزارة المالية في أيار/ مايو 2007، التي أدت إلى مقتل أربع رهائن بريطانيين.

ومنذ أواخر عام 2012، كانت الحركة ترسل قوات تابعة لها إلى سوريا لدعم نظام بشار الأسد.

وتخضع «عصائب أهل الحق» لسيطرة إيران بقيادة قيس الخزعلي رجل الدين المنشق عن التيار الصدري.[12] وفرضت وزارة الخزانة الأميركية في السادس من كانون الأول/ ديسمبر 2019 عقوبات على أربعة عراقيين، بينهم ثلاثة من قادة الميليشيات المرتبطة بإيران، بتهمة انتهاك حقوق الإنسان وقتل المتظاهرين، بالإضافة إلى ضلوعهم بقضايا فساد، بينهم زعيم ميليشيا عصائب أهل الحق قيس الخزعلي وشقيقه ليث الخزعلي.[13]

ومن الناحية الهيكلية والأيديولوجية، تُعَدّ حركة (عصائب أهل الحق) استنساخًا لـ(حزب الله) اللبناني، على الرغم من أنّها استقلّت عنه بعض الشيء في النهاية.[14] وهنالك اتهامات كبيرة للعصائب بارتكابها جرائم بحق العراقيين لدوافع مذهبية وطائفية، وخلال المظاهرات الشعبية العراقية الأخيرة في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 قدّمت عصائب أهل الحق وزعيمها قيس الخزعلي أحد أبرز السياسيين الشيعة الدعم الكامل لحملة القمع التي شُنَّت حينها ضد المحتجين بمساعدة «الحرس الثوري الإسلامي» الإيراني. كما أنه قاد حملة التشهير العلنية التي طالت المحتجين بوصف التظاهرات بأنها مؤامرة مدعومة من الخارج ضد العراق.[15]

واليوم تُعَدّ حركة عصائب أهل الحق من الكيانات السياسية الفاعلة في الملعب السياسي العراقي، وفي الميدان العسكري، وقد شاركت في انتخابات عام 2021 في تحالف (الفتح) مع هادي العامري وحصد التحالف (17) مقعدًا.[16]

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق

تنوعت الميليشيات العراقية التي ظهرت بعد عام 2003، حيث ظهرت ميليشيات مسلحة عديدة، منها ما ذكرناه آنفا ضمن الميليشيات ما قبل عام 2003، ومنها ميليشيات برزت بعد عام 2003، وتحديدًا بعد عام 2014 وسيطرة تنظيم داعش على ثلث العراق، والكثير منها تدخل ضمن تشكيلات «الحشد الشعبي»[17]. وقد ضُمّ الحشد الشعبي إلى

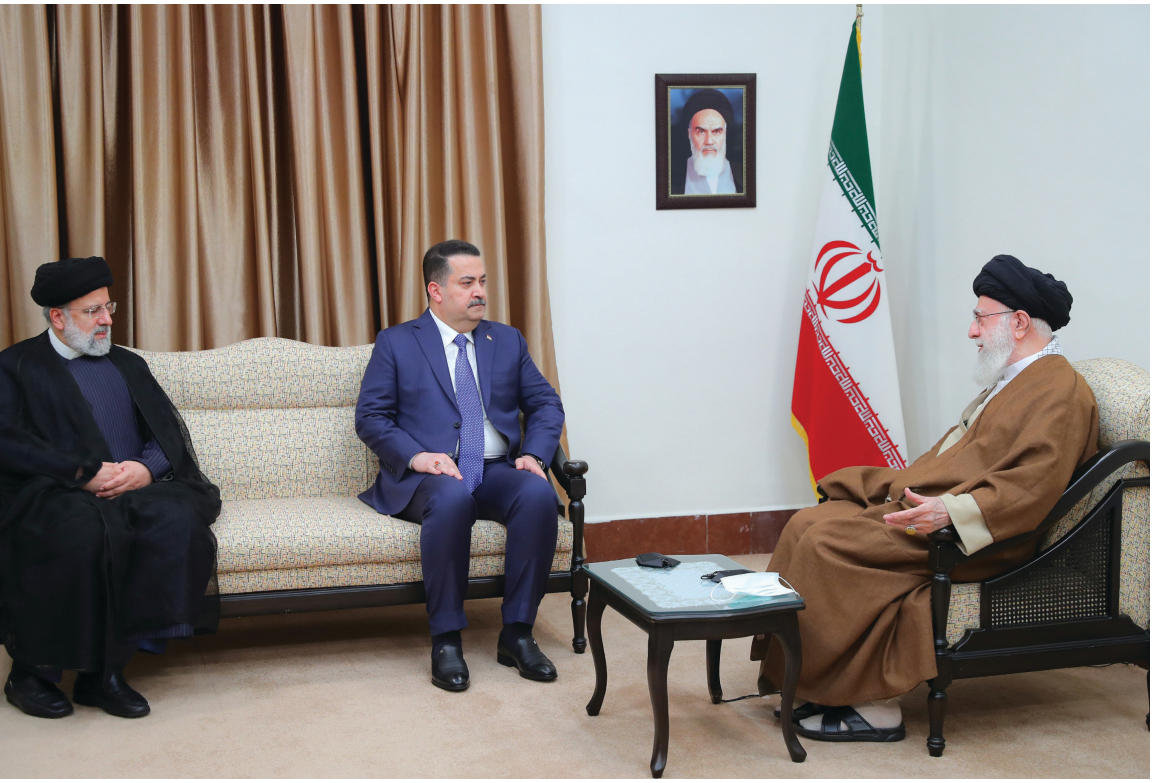

القوات المسلحة الرسمية العراقية نهاية تموز/ يوليو 2016.[18] تختلف أيديولوجيات الميليشيات المنضوية تحت «الحشد الشعبي»، ولبعضها الآن أجنحة سياسية في البرلمان العراقي، ويحظى العديد منها بدعم مالي وتكتيكي من إيران.[19] وسنذكر فيما يأتي أهم فصائل «الحشد الشعبي» القريبة من إيران، التي ظهرت بعد الاحتلال الأمريكي:

1. كتائب حزب الله

أُسِّست «كتائب حزب الله» في أعقاب الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003، وهي إحدى «فصائل النخبة المسلحة العراقية» الأقرب إلى إيران.

وهي أقوى فصيل مسلح فيما يُسمَّى «المقاومة الإسلامية في العراق»، وهي مظلّة تضمّ جماعات شيعية مسلّحة متشدّدة أعلنت مسؤوليتها عن أكثر من 150 هجومًا على القوات الأميركية منذ بدء الحرب على غزة.

كان يقودها العراقي- الإيراني أبو مهدي المهندس حتى مقتله بهجوم أمريكي بطائرة مسيّرة بداية عام 2020 مع قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني في مطار بغداد الدولي.

قصفت الولايات المتحدة مواقع كتائب حزب الله وقواعدها ومراكزها التدريبية واللوجستية عدة مرات على مرّ السنين.

ثم اندمجت فيها «جماعات خاصة» يديرها «فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري الإيراني» في الفترة 2005-2007.

أدرجتها الولايات المتحدة في عام 2009 ضمن قائمة «المنظمات الإرهابية العالمية الخاضعة لإدراج خاص»؛ لمهاجمتها القوات الأمريكية، وزعزعة استقرار العراق.

تُظهر أدلة موثوقة أنّ «كتائب حزب الله» تنفّذ إجراءات محددة بموجب تعليمات «فيلق القدس» أو توجيهاته أو تحت سيطرته. وترجّح الدلائل أنّ إيران تزوّد «كتائب حزب الله» بالمساعدة المالية والعسكرية، وتشاركها المعلومات الاستخباراتية، فضلاً عن المساعدة في اختيار قيادتها ودعمها والإشراف عليها.

وتذكر الجماعة في موقعها الإلكتروني الرسمي أن ولاية الفقيه هي الطريق الأمثل؛ «لتحقيق حاكمية الإسلام في زمن الغَيْبة» أي غَيْبة المهدي، الإمام الثاني عشر. وترتبط كتائب حزب الله العراقية بإيران بشكل مباشر، إذ ترى في تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران «إنجازًا عظيمًا» وتعدّها مرحلة أساسية للتمهيد لإقامة «دولة العدل الإلهي، وصورة من صور حاكمية الإسلام وولاية الفقيه». ويُقدَّر عدد مسلحي الكتائب بسبعة آلاف عنصر، وفقًا لأرقام غير رسمية.

وتعتنق الجماعة أيديولوجيا شيعية عابرة للحدود، وهي جماعة غامضة، ليس لها هيكل قيادي معلَن، ولديها آلاف المقاتلين، وترسانة من الطائرات المسيّرة والصواريخ والقذائف الباليستية قصيرة المدى، حسبما يقول مسؤولون عراقيون وأعضاء في الجماعة. وهناك تشابه بين أسلوب عملها وأسلوب حزب الله اللبناني، وقد أشرف على تدريبها عناصر من قيادات إيرانية ولبنانية، أبرزهم عماد مغنية الذي قُتِل في سوريا عام 2015. ونفّذت الكتائب، التي تصنَفها الولايات المتحدة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية، العديد من العمليات ضد القوات الأمريكية في العراق.

كما ذكرت تقارير أن الكتائب كانت طرفًا في اختطاف فريق الصيد القطري في كانون الأول/ ديسمبر 2015 في جنوب العراق، وأنها كانت إحدى الجهات التي تلقّت ملايين الدولارات من الفدية التي دفعتها قطر، البالغة مليار دولار؛ لإطلاق سراح الصيادين القطريين. لكن قطر ذكرت أنها دفعت الأموال للحكومة العراقية. وهذه الكتائب غير ممثلة في حزب سياسي، لكنها جزء من قوات الحشد الشعبي التي ساعدت القوات الحكومية في حربها ضد تنظيم الدولة.[20]

2. ميليشيات حركة النجباء

أدّت «حركة النجباء» عبر جناحها المسلّح دورًا بارزًا في الحرب السورية خلال المعارك الكبرى في مدينة حلب عام 2015، وهناك اعتقاد راسخ بأن الحركة تابعة لفيلق القدس الإيراني.

وتشير معظم الأدلة إلى أن إيران هي من تزوّدها بالمال والسلاح، وتشاركها المعلومات الاستخباراتية، فضلاً عن مساعدتها في اختيار قياداتها والإشراف عليها. وللحركة صلات وثيقة بالأحزاب والجماعات الموالية لإيران، مثل حزب الله اللبناني والعراقي. وكان مؤسس الحركة، أكرم الكعبي، قائدًا عسكريًّا بارزًا في «جيش المهدي» التابع للصدر قبل أن ينشق عنه.[21] وانضم الكعبي لاحقًا إلى «عصائب أهل الحق» التي أنشأها فيلق القدس في عام 2008. وأدرجت الخزانة الأمريكية في عام 2019، الكعبي في قائمة «الإرهابيين العالميين».[22]

وقال الكعبي مرارًا: إن حركة النجباء متحالفة مع إيران. وفي الخريف الماضي نقلت وكالة تسنيم الإيرانية للأنباء عن الكعبي قوله: إن الجماعة تتبع نهج ولاية الفقيه، وهي الأساس الفكري الذي يقوم عليه نظام الحكم الديني في إيران.[23]

ومنذ فترة طويلة تصرّ الولايات المتحدة على أن الكعبي يقاتل لحساب إيران، حتى من قبل أن يصبح أمينًا عامًّا لحركة النجباء. وفي عام 2008 حين كان الكعبي يعمل مع فصيل آخر صنفته وزارة الخزانة الأمريكية فردًا يهدّد سلام العراق واستقراره.[24]

وقد أسهمت الحركة في الهجمات ضد المصالح الأمريكية في العراق، ولاسيّما بعد هجمات 7أكتوبر، وشددت حركة النجباء على أنها ستواصل الهجمات ضد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط.

3. كتائب سيد الشهداء:

تُعرَف «كتائب سيد الشهداء أيضًا باسم «لواء أبو الفضل العباس» و«كتائب كربلاء»، وهي ميليشيا عراقية شيعية مسلحة قاتلت في كل من العراق وسوريا، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحرس الثوري الإيراني والحوثيين. أسّسها أبو مصطفى الشيباني، ويتزعمها الآن هاشم فنيان رحيم السراجي المعروف بأبي الولاء الولائي.

ظهرت كتائب سيد الشهداء عام 2013 لـ«حماية الأضرحة الشيعية حول العالم»، و«الحفاظ على الوحدة العراقية»، و«وضع حد للصراع الطائفي»، وهي تدعم حاليًّا

حكومة بشار الأسد عسكريًّا، وتضع نصب عينيها حماية ضريح السيدة زينب الشيعي الذي يقع في ضاحية دمشق الجنوبية. وتعمل الكتائب في سوريا ضمن لواء أبي الفضل العباس السوري–ـ العراقي المختلط، وهي ميليشيا مظلية أخرى مدعومة من إيران.

وتتبّع كتائب سيد الشهداء نفس الأيديولوجيا الجهادية الشيعية التي تتّبعها الجماعات المسلحة الشيعية الأخرى الموالية لإيران، حيث تؤطر قتالها في سوريا على أنه دفاع عن الشيعة ورموزهم الدينية».[25]

وقد صنّفتها الولايات المتحدة منظّمة «إرهابية» في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023. وعندما أدرجت الولايات المتحدة الشيباني على لائحة «الكيانات الإرهابية العالمية ذات التصنيف الخاص» في تموز/ يوليو 2008، تراجع نفوذه ضمن «كتائب حزب الله»، وفي عام 2014، انتقلت قيادة «كتائب سيّد الشهداء» إلى أبي آلاء الولائي.

وتدّعي «كتائب سيّد الشهداء» أنّها تلقّت ضربتيْن في سوريا من قبل الطائرات الأمريكية: مرةً في آب/ أغسطس 2017 في التنف (زعمت أنها أسفرت عن مقتل 36 عنصرًا وجرح 75 آخرين) ومرةً أخرى في آذار/ مارس 2021 في البوكمال، من دون سقوط أي ضحايا. وتتوفر أدلة واضحة ومقنعة تشير إلى أنّ «كتائب سيّد الشهداء» تستجيب أحيانًا لأوامر «الحرس الثوري الإيراني»، وتحظى بتمويل جزئي منه. وتُرجّح الأدلة أن «فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري»، و«حزب الله اللبناني» قدّما المساعدة المالية والمساعدة العسكرية وتبادُل المعلومات الاستخبارية لـ«كتائب سيّد الشهداء»، فضلاً عن المساعدة في اختيار قيادتها ودعمها والإشراف عليها.[26]

4. فصائل نخبوية عراقية جديدة موالية لإيران

سبق لوكالة رويترز أن ذكرت يوم 21/ 5/ 2021 أن إيران انتقت مئات المقاتلين الذين يحظون بثقتها من بين كوادر أغلب الفصائل القوية الحليفة لها في العراق لتشكّل جماعات نخبوية أصغر حجمًا شديدة الولاء لها؛ متحولة بذلك عن اعتمادها على جماعات كبيرة كان لها في وقت من الأوقات نفوذ عليها.

وقد جرى تدريب الجماعات السرية الجديدة العام الماضي على حرب الطائرات المسيرة والاستطلاع والدعاية الإلكترونية، وهي تأتمر بأمر ضباط في فيلق القدس ذراع الحرس الثوري الإيراني المسيطر على الفصائل المتحالفة مع إيران في الخارج. وتكشف روايات مسؤولين أمنيين عراقيين وقادة فصائل ومصادر دبلوماسية وعسكرية غربية أن هذه الجماعات مسؤولة عن سلسلة من الهجمات المعقدة على نحو متزايد التي استهدفت الولايات المتحدة وحلفاءها.

ويعكس هذا الأسلوب رد إيران على ما شهدته من انتكاسات، وعلى رأسها مقتل القائد العسكري قاسم سليماني قائد فيلق القدس الذي كان يسيطر سيطرة شديدة على الفصائل الشيعية العراقية حتى مقتله عام 2020 في هجوم صاروخي أمريكي بطائرة مسيرة. وقال أحد قادة الفصائل الموالية لإيران: «يبدو أن الإيرانيين شكلوا جماعات جديدة من الأفراد المنتقين بعناية كبيرة؛ لتنفيذ هجمات والحفاظ على السرية التامة. ونحن لا نعرف من هم».

وقال المسؤولان الأمنيان العراقيان: إن 250 مقاتلاً على الأقل سافروا إلى لبنان على مدار عدة أشهر في 2020، حيث تولى مستشارون من الحرس الثوري الإيراني وجماعة حزب الله اللبنانية تدريبهم على استخدام الطائرات المسيرة، وإطلاق الصواريخ، وزرع القنابل، والترويج لأنباء الهجمات على وسائل التواصل الاجتماعي. وقال أحد المسؤولين الأمنيين: «الفصائل الجديدة تعمل سرًّا، ويأتمر قادتها غير المعروفين مباشرة بأوامر ضباط الحرس الثوري الإيراني».

وإيران هي أبرز قوة شيعية في الشرق الأوسط، ويُعَدّ نفوذها في العراق صاحب أكبر أغلبية شيعية في العالم العربي إحدى السبل الرئيسة التي تنشر بها نفوذها في أنحاء المنطقة.[27]

وفي كثير من الأحوال كان المسؤولون الغربيون وتقارير الباحثين الأكاديميين يَعدّون هذه الجماعات الجديدة مجرد واجهات لكتائب «حزب الله» أو غيرها من الميليشيات، غير أن المصادر العراقية قالت: إن هذه الجماعات منفصلة فعليًّا، وتعمل بشكل مستقل.[28]

ولا توجد معلومات تفصيلية عن هذه المجاميع التابعة لإيران، لكنها قد تكون جزءًا ممّا يُسمّى «المقاومة الإسلامية» في العراق، أو ربما هي تشكيل خاص له مهام خاصة، ويبقى على أهبة الاستعداد لأي مهام مرتقبة سواء في العراق أو المنطقة.

وأتصوّر أن هذا التشكيل سيبقى خلف الستار، ويمكن تسميته: الخطة (ب) التي يمكن أن تطبقها إيران في العراق في حال حدوث أي ثورة شعبية قادرة على قلب المعادلة السياسية في البلاد.

5. «المقاومة الإسلامية» في العراق

يعَدّ تشكيل «المقاومة الإسلامية» في العراق من التشكيلات العسكرية الفضفافة، ويضمّ عددًا من الفصائل والجماعات العراقية المسلحة المدعومة من إيران. ظهر هذا التشكيل عقب العدوان الإسرائيلي على غزة في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وشنّ هجمات بطائرات مُسيرة وصواريخ ضد القواعد العسكرية الأميركية في العراق وسوريا.

أعلنت «كتائب حزب الله العراقي» يوم 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، أسماء بعض الجماعات المنضوية معها تحت مسمّى «المقاومة الإسلامية في العراق». وأشارت إلى تنظيمَي «كتائب سيد الشهداء»، و«النجباء»، اللذين يشكّلان جزءًا مما يُعرَف بـ«محور المقاومة»، الذي تقوده طهران، ويضم فصائل إقليمية أخرى، مثل «حزب الله اللبناني» وجماعة الحوثي في اليمن، إضافة إلى كتائب «حزب الله العراقي»، وجماعة «أنصار الله الأوفياء» المنشقة عن التيار الصدري، التي يعدّها كثيرون أحد أهم «الوكلاء العراقيين» لـ«فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري الإيراني».[29]

بدأت «المقاومة الإسلامية» في العراق استهداف القوات الأميركية في العراق وسوريا في تشرين الأول/ أكتوبر 2023 قائلة: إنها تهدف بذلك للرد على الهجمات الإسرائيلية على الفلسطينيين، ومقاومة الوجود الأمريكي في العراق والمنطقة. وكشفت صحيفة «واشنطن بوست»، في شباط/ فبراير 2024 أن إيران تخشى إثارة مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة، وتحثّ الميليشيات المرتبطة بها في منطقة الشرق الأوسط، على ضبط النفس؛ لتجنب أي تصعيد مع الجيش الأمريكي.[30]

والهدف الرئيس «لمحور المقاومة» هو إضعاف النفوذ الأمريكي في المنطقة، وإرغام الولايات المتحدة على سحب قواتها من الدول المحيطة بإيران، مثل العراق، وتقليص الوجود العسكري في منطقة ومياه الخليج بأكبر قدر ممكن، ومساعدة إيران على تعزيز نفوذها وهيمنتها الإقليمية.[31]

التدخل الإيراني في الملف الأمني العراقي

التدخل الإيراني في الشأن الداخلي العراقي واضح جدا، ولا جدوى من إنكاره، وأكثر العراقيين الذين يعانون التدخل الإيراني هم عرب الجنوب. ومن هنا فإن الإطاحة بالرئيس صدام حسين في عام 2003 شكّل فرصة تاريخية لإيران لتوسيع نفوذها في العراق، وتحويله من عدو إلى شريك أو حليف. وإيران نفسها لم تدفع بعد ثمن تشغيل الميليشيات والمنظمات التي تعمل باسمها في المنطقة، فهي إلى جانب تنصلها من المسؤولية، تطرح نفسها بأنها الدولة الوحيدة التي تمسك بيدها تشغيل فضاء الساحات العنيفة في المنطقة، حتى في وقت يكون فيه تحكمها بهذه الميليشيات غير كامل ومطلق، ويتعلق باعتبارات محلية لا تخضع لتوجيهاتها دائمًا.

هكذا، بفضل الحرب في غزة، حققت إيران لنفسها مكانة إستراتيجية متميزة. وهي مكانة تعززت بفضل استئناف العلاقات الدبلوماسية مع السعودية والحوار السياسي غير المباشر مع واشنطن، التي تحاول تقييد فضاء هذه الساحة.[32]

وليس بعيدًا عن الصواب ما ذكره الكاتب الإسرائيلي تسفي برئيل، الذي نشر في صحيفة هآرتس 2024/ 2/ 20، ونشرته صحيفة القدس العربي، بأن إيران استغلت الحرب في غزة عبر أذرعها في الدول العربية وفي مقدمتها العراق ولبنان واليمن؛ لتحقيق مكانة إستراتيجية وترتيب علاقاتها مع محيطها العربي. هذا الكلام، وإن كان من كاتب إسرائيلي، إلا أن الوقائع والأحداث والتحركات الإيرانية الدبلوماسية والعسكرية تؤكده.[33]

- المسار الإيراني المستقبلي

وحول السؤال الآتي: ما الذي يستطيع الإيرانيون فعله في ضوء قدرات إيران الخارجية الولائية المسلحة؟ نقول: إذا ابتعد الإيرانيون تدريجيًّا عن حلفائهم في الميليشيات لمصلحة إقامة علاقات على مستوى الدول مع البلدان العربية التي لهم نفوذ فيها- فقد يرَوْن سلطتهم تتقلّص. لكن ذلك قد يكون الخيار الحقيقي الوحيد المُتاح لطهران، وإن كان خيارًا غير مرغوب فيه. والإيرانيون يتمتّعون بالمال والعناصر الثقافية للتعويض عن طريق القوة

الناعمة، لكنهم يدركون أن الدول التي ينشط فيها حلفاؤهم ستظلّ معطّلةً، إذا ما أخفقت في نزع سلاح هؤلاء الحلفاء في نهاية المطاف، وهذا سيؤدّي إلى ردّ فعل عكسي ضدّ طهران.

وأيًّا يكن المسار الذي ستختاره إيران، إننا نشهد بالفعل بعض التحوّل المهمّ من جانبها. ومن المرجّح أن تنشأ خيارات الإيرانيين في المنطقة من الديناميات الداخلية، ولكنها ستكون مرتبطةً أيضًا بعلاقات طهران الخارجية. فالنفوذ الصيني على وجه الخصوص سيكون حاسمًا، نظرًا إلى أن بيجينغ أصبحت عاملاً للاستقرار في المنطقة، حيث لها مصالح اقتصادية كبرى. وقد تضطّر إيران إلى استيعاب الصينيين وهم يسعون إلى الوصول بشكل أكثر أمانًا إلى نفط المنطقة وغازها، والمضيّ قدمًا بمبادرة الحزام والطريق. ومن شأن ذلك أن يؤثّر في أنشطة الحرس الثوري الإسلامي الإيراني النافذ، الذي غالبًا ما أتاح له انعدام الاستقرار فرصًا قيّمةً لتوسيع نفوذ إيران.[34]

تدرك إيران مآلات الحرب، وأن تدخلها قد يضر بمصالحها بشكل كبير، إضافة إلى عدم توافر الظروف الدولية المناسبة، وهي تَعِي أن دخولها في فلسطين بشكل مباشر سيؤدي إلى نزاع إقليمي كبير يصعب السيطرة عليه. وستكون إيران بحاجة إلى حلفاء إقليميين أقوياء، فالصين منشغلة باستعادة تايوان، بينما لا تزال روسيا غارقة في أوكرانيا. لهذا تدرك إيران أنها ستواجه أمريكا منفردة.[35]

إيران وغزة والميليشيات

رغم أن بؤرة الصراع والحرب تتركز في غزة، إلا أن الميليشيات الإيرانية باتت تركز على استهداف الوجود الأمريكي في كل من العراق وسوريا؛ لتصل آخرها إلى إعلان «المقاومة الإسلامية العراقية» بتاريخ 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 ما أسمتها «حرب تحرير العراق من القوات الأميركية عسكريًّا»، وبينما يبدو العنوان الأبرز لهذه الهجمات التضامن مع «حركة حماس وغزة» إلا أن حقيقة الأمر هي توظيف إيراني لوكلائها في المنطقة؛ لتحقيق عدة أهداف، أبرزها محاولات إنهاء الوجود الأميركي في جوارها: العراق.

ومن المؤكد في الأحوال كافة أنّ إيران لا تهدف إلى توسيع نطاق الحرب، ولا الدخول المباشر فيها. فإذا تابعنا خطاب المحور الإيراني الموجه إلى أميركا والغرب بداية من سلسلة لقاءات وزير الخارجية الإيراني عبد اللهيان خلال وجوده في نيويورك وزياراته للدول الإقليمية، وصولاً إلى خطاب حسن نصر الله الأخير، نجد هذا المحور يحمل رسائل لأمريكا بشكل خاص تدعوها لإيقاف حرب غزة، وطمأنة للغرب بأن إيران ترغب في إنهاء الحرب ولا نية لها لتوسيعها.

بالإضافة إلى أن حرب غزة أدت إلى زيادة (تقارب الضرورة) بين إيران والبلدان العربية، الذي تبلور مؤخرًا في عقد القمة العربية الإسلامية بتاريخ 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 في السعودية بحضور البلدان العربية كافة وعدد من الدول الإسلامية، بينها إيران، وخلالها حاولت إيران المزاودة على الدول العربية في الدفاع عن غزة وفلسطين، ولكن من دون أن تكون هي رأس الحربة في مواجهة «إسرائيل»، بل تحاول دفع الدول العربية إلى الضغط على «إسرائيل» وأمريكا لإنهاء الحرب.

وهذا يعني أن أحد الأهداف الإستراتيجية لطهران هو "إبقاء النزاع بعيدًا عن حدودها"، لكنها ترى أنه للدفاع عن موقعها في المنطقة، يتوجب عليها مواصلة دعم أذرعها خلال هذه الأزمة؛ لأن الحرب الشاملة في المنطقة ستؤدي إلى خلل في الإستراتيجية الإيرانية، ومن ثَمّ قد يكون الثمن باهظًا، بخاصة مع استمرار الولايات المتحدة تعزيز وجودها العسكري في الشرق الأوسط.[36]

خاتمة

يبقى العراق يمثل الهاجس الأمني الكبير للولايات المتحدة الداعمة لـ«إسرائيل»؛ بسبب حضورها الأكبر هناك ومصالحها، إضافة إلى أن وجودها في العراق يعني وجودها من مقربة الحدود الإيرانية.[37] ويُرجّح أن إيران ستبقى، كما هي الحال في سياساتها الخارجية منذ أكثر من أربعة عقود، تستغل هذه الظروف؛ ومن ثَمّ لا يُعتقَد أن تسهم الأذرع الإيرانية في خدمة بلدانها، بل تعمل على تحقيق غالبية المصالح الإيرانية، ولو كان ذلك على حساب مصالح بلدانها. وخلاصة القول: إن إيران لن تورّط نفسها في مواجهات مباشرة، بل تعتمد تمامًا على أذرعها الإقليمية، وبالمحصّلة تبقى إيران فوق التل، بينما تحصد من الأجانب الآخرين ثمارهم ودماءهم وأرواحهم.

الهوامش والمراجع

1. يُذكَر هنا أن الرئيسين الإيرانيين السابقين أكبر هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي صرّحا خلال الأعوام السابقة بأن إيران تعاونت ونسقت مع الولايات المتحدة في غزو كل من العراق وأفغانستان. راجع: https://www.alarabiya.net/iran/
2. الدستور العراقي، المادة التاسعة أولًا، ب ـ يحظر تكوين ميليشيات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة، راجع: https://presidency.iq/info.aspx?jimare=1002
3. بحسب تعبير موقع المجلس الأعلى.
4. الموقع الرسمي للمجلس، نبذة-عن-المجلس-الأعلى-الإسلامي-العراق، https://iscimedia.com/ar/
5. قبل أن تنفك وتكون تحت إمرة هادي العامري، زعيم منظمة بدر في عام 2012.
6. مايكل آيزنشتات، إيران والعراق، معهد واشنطن، https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/iran-and-iraq
7. فيليب سميث، الميليشيات الإيرانية في مجلس النواب العراقي: النتائج السياسية والرد الأمريكي، معهد واشنطن، https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/iranian-militias-in-iraqs-parliament-political-outcomes-and-u.s.-response
8. ملاحظة: (منظمة بدر) كانت جزءًا من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ثم استقلّت، ولذلك اقتضى التنويه بخصوص تكرار استخدام (منظمة بدر) في فقرتين، راجع الهامش رقم (3).
9. تعريف بمنظمة بدر، سويس انفو، يونيو 2005، https://2u.pw/ZNs3BGB3
10. موسوعة الجزيرة، بدر... مليشيا عراقية حاربت صدام وقاتلت مع الأسد، https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2016/2/10/بدر-مليشيا-عراقية-حاربت-صدام-وقاتلت-مع-الأسد

11. مايكل نايتس و فرزند شيركو، هل يمكن لـ«عصائب أهل الحق» الانضمام إلى التيار السياسي الرئيسي؟، معهد واشنطن، مصدر سابق.

12. مايكل نايتس, باربارا أ. ليف, ماثيو ليفيت, و فيليب سميث، الطريقة الذكية لمعاقبة الميليشيات المدعومة من إيران في العراق، معهد واشنطن، https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-smart-way-to-sanction-iranian-backed-militias-in-iraq

13. قناة الحرة الأمريكية، عقوبات أميركية على 3 قادة لميليشيات عراقية ومليونير «فاسد»، https://www.alhurra.com/a/واشنطن-تفرض-عقوبات-على-قادة-ميليشيات-عراقية/524188.html

14. فيليب سميث، المقاومة الإسلامية التابعة لـ «حزب الله» اللبناني في سوريا، معهد واشنطن، https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/lebanese-hezbollahs-islamic-resistance-in-syria

15. مايكل نايتس، معاقبة القتلة المأجورين من إيران في العراق: إطلاق سلسلة تحركات في إطار حملة طويلة، معهد واشنطن، https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/punishing-irans-triggermen-in-iraq-opening-moves-in-a-long-campaign

16. ولمزيد من المعلومات عن الحركة يمكن مراجعة موقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية، https://ahlualhaq.com/، وكذلك موقع كتلة صادقون النيابية، https://alsadiqon.iq/

17. وهي هيئة عسكرية مسلحة، تضم العديد من الجماعات المسلحة. راجع الموقع الرسمي للحشد الشعبي: https://hashed.iq/.

18. وكالة الأناضول، https://www.aa.com.tr/ar

19. القناة الألمانية، ما دور «ميليشيات إيران» في الحرب بين إسرائيل وحماس؟ https://www.dw.com/ar/

20. وكالة BBC NEWS عربية، https://www.bbc.com/arabic/middleeast-50945835، انظر كذلك: موسوعة الجزيرة، الفصائل العراقية الموالية لإيران... دروع «الثورة الإسلامية» في بلاد الرافدين، https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/2/22/

21. تقرير خاص- النجباء..قصة الفصيل العراقي الذي يساعد إيران على فتح طريق إلى دمشق، وكالة رويترز: https://2u.pw/sBwg8s4Z

22. ما الميليشيات والجماعات المسلحة الموالية لإيران في العراق وسوريا؟، وكالة البي بي سي عربية: https://2u.pw/1SqwSySK

23. تقرير خاص- النجباء..قصة الفصيل العراقي الذي يساعد إيران على فتح طريق إلى دمشق، وكالة رويترز: https://2u.pw/sBwg8s4Z

24. المصدر السابق.

25. المركز العربي لدراسات التطرف، https://thearabcenter.org/

26. لمحة عامة عن «كتائب سيّد الشهداء» بواسطة مايكل نايتس، معهد واشنطن: https://2u.pw/Fwvbw2T

27. وكالة رويترز، https://www.reuters.com/article/idUSKCN2D21MY/

28. مركز الاتحاد للأخبار، https://www.aletihad.ae/news/

29. موسوعة الجزيرة، https://2u.pw/TOkA4nnn

30. الجزيرة نت، سلسلة محور الممانعة وطوفان الأقصى (1) إيران فكرة المحور وحدودها، https://2u.pw/1vFs8dG

31. هل الولايات المتحدة مقبلة على حرب أخرى في الشرق الأوسط؟ هشام ملحم، معهد دول الخليج العربي في واشنطن، https://agsiw.org/ar/is-america-on-the-verge-of-another-war-in-the-middle-east-arabic/

32. تسفي برئيل، هآرتس 2024/2/20

33. صحيفة القدس العربي، https://www.alquds.co.uk/ /

34. مايكل يونغ، بينما تعمَد طهران إلى توطيد نفوذها الإقليمي، هل ستقبل في النهاية بنزع سلاح حلفائها العرب؟ مركز مالكوم كير – كارنيغي للشرق الأوسط، https://carnegie-mec.org/?lang=ar

35. إبراهيم بامطرف، وعاصم الخضمي، إيران وطوفان الأقصى: التضحية بالجندي للحفاظ على القلعة، مركز مالكوم كير– كارنيغي للشرق الأوسط، https://carnegie-mec.org/sada/91415

36. زكين إبراهيم، إيران تهدد بأذرعها القريبة وتضرب بالبعيدة... الأهداف والدلالات، https://firatn.com/?p=4027

37. جاسم محمد، عوامل توسع رقعة الحروب وانعكاساتها على أمن الخليج العربي، https://www.europarabct.com/